جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي-

معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة أم البواقي

سنة ثانية ليسانس (السداسي الثالث)

مقياس النظريات تربوية

عنوان المحاضرة: مدخل للنظريات التربوية والتعلم

إعداد الأستاذ : بن يوسف وليد

1- مفهوم النظرية:

يبدو أن أغلب الكُتّاب في هذا المجال لا يقدمون تعريفا صريحا للنظرية، لكنهم يتوقعون من قُرّائهم استخلاص معناها من خلال استعمالاتها. يقول "Torraco (1997)' أن النظرية تفسر الظاهر وكيفية حدوثها.

- كلمة النظرية مشتقة من الفعل (نظر) ومعناه حاول فهمه وتقصى معناه وحقيقته بالفهم والتجريب والاختبار.

أما "*Webster's Seventh New Intercollegiate Dictionary*" يقدم خمس تعريفات:

الأول هي تحليل مجموعة من الحوادث وعلاقة كل منها بالآخر.

والثاني هي مبادئ عامة ومجردة لهيكل من الأحداث، أو العلوم، أو الفنون.

والثالث هي مبادئ عامة أو هيكل من المبادئ المعقولة والمقبولة تُقدّم لتفسير الظاهرة.

الرابع هي افتراضات تقدم لصالح استدلال أو بحث معين.

الخامس هي أفكار مجردة.

نظريات التعلم تستعمل كل هذه التعاريف بشكل أو بآخر، لكن باستعمالات واسعة ومتنوعة. فالباحث الذي يريد إيجاد ترابط أو تفسير لمجموعة من الأحداث والبحث في طبيعتها وأسبابها يحتاج إلى نظرية تجمع وتوجه نسق الأفكار لإيجاد أجوبة لأسئلته.

ومن هذه الآفاق يمكن أن نرى أن النظرية نسق توجهي للافتراضات، وهي نظام معطيات يلخص بعناية الأحداث.

2- مفهوم التربية:

التربية - بمعناها الشامل -: تغيُّر في السلوك وتنميته إلى الدرجة التي تمكن الإنسان من الإسهام الفعَّال في تحقيق حاجات الحاضر، ومواجهة تحدِّيات المستقبل، وتسخير موارد البيئة وخبرات الماضي عبر رحلة النشأة والحياة والمصير.

أن التربية عملية إنماء الشخصية المتوازنة المتكاملة من جميع الجوانب: الجسدية، العقلية، الوجدانية، الروحية، الأخلاقية، الاجتماعية، والجمالية، وقدرته على التكيف مع البيئة المحيطة به. وهناك مجموعة من الأصول التي تستند إليها التربية: اجتماعية، تاريخية، سياسية، دينية، وفلسفية.

3- مفهوم النظرية التربوية:

- تمثل النظرية التربوية النموذج الذي يرغب المجتمع القائم لأطفاله وناشئته أن يكونوا عليه، والمؤسسات التي تعدُّ هذا النشء، والمناهج التي تستعمل في إعدادهم، ومجتمع المستقبل الذي سيعيشون فيه، والنظرية التربوية تشمل كذلك شبكة العلاقات الاجتماعية التي يُرَغّب بها المجتمع لتنظيم سلوك البالغين فيه، والمؤسسات التي يعملون بها؛ بحيث يؤدي هذا التنظيم إلى تأهيلهم وتنسيق جهودهم ليقوموا متعاونين متكاملين بتلبية الحاجات ومواجهة التحديات؛ لذلك يختلف مفهوم النظرية التربوية من مجتمع إلى مجتمع، ومن حضارة إلى حضارة، ومن عصر إلى عصر .

4- أهداف النظرية التربوية:

- دراسة الظواهر التربوية من حيث طبيعتها وما تتسم به من خصائص وسمات، والتي بفضل هذه الأخير تجعل منها موضوعا متميزا لعلم الاجتماع التربوي.

- التعرف على الوقائع الثقافية والاجتماعية والشخصية المرتبطة بالظاهرة التربوية في نشأتها وتطورها.

- فهم طبيعة العلاقات التي تربط الظواهر التربوية بعضها ببعض، والتي تربطها بغيرها من الظواهر الاجتماعية في المجتمع.

- الكشف عن الأبعاد أو الوظائف الاجتماعية، والتي تؤديها الظواهر والنظم التربوية بالنسبة للجوانب الاجتماعية والثقافية في المجتمع.

- تحديد المضمون الاديولوجي للتربية وآثاره على العمليات التربوية.

- تحديد القوانين الاجتماعية العامة التي تحكم الظواهر التربوية وما يرتبط بها من وقائع اجتماعية وثقافية وشخصية.

- تحليل التربية كوسيلة للتقدم الاجتماعي.

5- تطبيقات النظرية التربوية:

تشكل هذه التطبيقات القسم الثاني العملي من النظرية التربوية، وهي تتكون من العناصر التالية:

5-1- المنهاج:

المنهاج بمعناه البسيط هو: مجموع الخبرات المربية التي تهيئ المؤسسات التربوية لإنسانها التفاعل معها؛ لتحقيق المقاصد

والأغراض التي تحددها الفلسفات والأهداف التربوية التي سبق استعراضها.

وينقسم المنهاج إلى قسمين رئيسين هما) :المنهاج الظاهر (الذي يشتمل على الخبرات الظاهرة المحسوسة، ويتألف من مواد دراسية وأساليب ووسائل تستعمل لتوصيلها أو تقويمها، و)منهاج مستتر (غير ظاهر للعيان، وتجسده النشاطات التعليمية، والممارسات الإدارية، والعلاقات الجارية المرافقة للمنهاج الظاهر.

وفي العقدين الأخيرين تركز الاهتمام بالمنهاج المستتر عند فريق من الباحثين التربويين، الذين ركزوا بحوثهم على فحص المعارف والعلاقات الجارية في المدارس والجامعات، وبرز نتيجة لذلك ما يعرف باسم) اجتماعيات التربية(، ولقد لفتت هذه الاجتماعيات التربوية الأنظار إلى أهمية ما أسمته بـ)المنهاج المستتر(Hidden Curriculum) (، الذي يشير إلى ظاهرة تعلُّم الطلبة من أجواء المدرسة، ومن الأنشطة والعلاقات الإدارية فيها، أكثر مما يتعلمونه من محتويات المنهاج الرسمي الظاهر.

ولقد عرّف هنري جيرو المنهاج المستتر بأنه: المعتقدات والقِيَم والعادات غير المدوَّنة التي يراد تسريبها إلى أشخاص الطلبة، من خلال القوانين والإجراءات التي تنظم عمل المدرسة والعلاقات الاجتماعية فيها.

فحين يتمُّ التشديد في المدرسة أو الجامعة على طاعة القوانين واللوائح دون نقاش، فإن ذلك يوحي للطلاب بالخضوع للسلطة المطلقة خضوعًا أعمى.

وحين يتمُّ تشديد مراقبة الامتحانات وصرامة تنفيذها، فإن ذلك يوحي للطلبة بأن الأصل في سلوك الإنسان أن يغشَّ ويخدع، ويصل إلى أهدافه بالسلوك الملتوي.

وحين يركِّز منهاج التاريخ على الحكَّام دون العلماء، أو الأغنياء دون الفقراء، أو على الرجال دون النساء، فإن ذلك يوحي للطلبة: مَن المهم الذي يبجلونه ويرهبونه.

والغاية من) المنهاج المستتر (هي ترويض الطلبة على مفاهيم وأنماط سلوك يراد أن يحيوها في المستقبل، وأن يتقبلوا المواقع الاجتماعية والأدوار المقررة لكل منهم، والمنهاج بهذا الشكل قد يكون نافعًا ينبه الطلبة ويدربهم لحياة اجتماعية أفضل، وقد يكون ضارًّا يكرِّس الخنوع والظلم وعدم المساواة.
ويؤخذ على المناهج المطبقة في غالب الأقطار العربية عدة أمور هي:
-1الفصل بين العلمي والأدبي؛ مما يفرز ثنائية اجتماعية متناقضة التفكير والولاء.
-2في فترة ما قبل العولمة التركيز على تاريخ الماضي وعلومه؛ مما يصرف عقول الطلبة عن الاهتمام بحاجات الحاضر وتحدِّياته، ويشغلهم بالجدال حول تفاضل الماضين ومفاخرهم أو نواقصهم، وفي فترة ما بعد العولمة يركز المنهاج على)اغتراب (الإنسان العربي والمسلم عن ثقافته وهويته، وتحويله إلى) عامل (لا ينتمي إلا لمكان العمل الذي يقدم له الغذاء والكساء والمتعة الجسدية.
-3التركيز على التلقين النظري أكثر من التطبيق العلمي؛ مما يغرس فيها عادة الرضا بالأقوال دون الأعمال.

-4التركيز على مهارات العمل كاستعمال الحاسوب، ويهمل علوم الاجتماع والدين.
-5الاكتفاء بالإلقاء النظري الجاف دون توفير البيئة والقدوة المفرِحة؛ مما يدرِّب الطلبة على الصبر على حياة الضنك، والرضا بالواقع المأساوي.

2-5- المؤسسات:

تتعدد المؤسسات التربوية بتعدُّد حلقات السلوك في الفرد، ومع تعدُّد الحاجات والتحديات التي يواجهها المجتمع خلال مسيرة التغير الإنساني، ولذلك يبقى عدد هذه المؤسسات وأنواعها ومسؤولياتها في تطوُّر مستمر طبقًا لحاجات كل عصر وتحدياته، ولكن يمكن تصنيف هذه المؤسسات بشكل عام إلى خمس مؤسسات هي:

-1مؤسسات التنشئة، ومحورها الأسرة.
-2مؤسسات التعليم، ويبدأ محورها من المدرسة وينتهي بالجامعة.
-3مؤسسات الإرشاد، ومحورها دور العبادة ومؤسسات الثقافة.
-4مؤسسات التوجيه، ومحورها مؤسسات الإعلام.
-5مؤسسات البيئة العامة، ومحورها مؤسسات الإدارة والأمن.

وكما لا يمكن الفصل بين حلقات السلوك؛ أي: حلقات الخاطرة، والفكرة، والإرادة، والتعبير، والممارسة، كذلك لا يمكن الفصل بين عمل المؤسسات المذكورة إلا ما يستدعي التنظيم مع المحافظة على التكامل والتفاعل؛ طبقًا لتخطيط علمي يحدد الأدوار وينظم قنوات التواصل.

3-5- الأساليب والوسائل:

تتحدد قيمة الأساليب والوسائل وفاعليتها بمقدار إسهامها في بَلْوَرة هوية الإنسان المتعلم، واستخراج قدراته وفضائله، وتمكينه من تسخير بيئته المحيطة، وإمداده بالوعي بتقسيمات الزمن الثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ لتكون محصلة ذلك كله تسنُّمه المركز) الكريم (في درجة العوالم المحسوسة.

ولكن يؤخذ على أساليب التربية الحديثة أنها في الوقت الذي أسهمت إسهامًا كبيرًا في تقدُّم العلم والتكنولوجيا، فإنها انتقصت إنسانية الإنسان وركَّزت عملها على ترويضه وتأهيله لمكان العمل والإنتاج، وممن انتقد هذه الأساليب) أرنست بيكر (الذي كتب يقول: "يتطلع الغرب اليوم إلى تربية واضحة تُخْرِجه من هذه الغابة المظلمة والجهل المُوحِل إلى نور الفهم للوجود، ولا تستطيع التربية العلمية أن تقدِّم لنا هذا الفهم المنشود؛ لأنها تتعامل فقط مع الأشياء المحسوسة، ولا العلوم الاجتماعية التي عندنا؛ لأنها أيضًا أفكار ميتافيزيقية مدمِّرة أفرزت أمراضًا اجتماعية قاتلة، فنحن اليوم في حرب مع عقولنا، وعقولنا أصبحت غائمة مكدَّرة باعتقادات عمياء هامشية غير معقولة، ومجموعة من الأفكار المدمرة ورثناها عن القرن التاسع".

4-5- إنسان التربية:

الإنسان الذي تتطلَّع نظريات التربية إلى إخراجه هو الذي يقوم بالعمل الصالح كاملاً، والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف تعمل التربية على إخراج الإنسان الصالح الذي يقوم بالعمل المشار إليه؟

للإجابة عن هذا السؤال لا بُدَّ من أمرين: الأول: تعريف العمل، والثاني: كيف يتولد العمل؟

أما عن الأمر الأول فإن التربية الإسلامية تطلق اسم" العمل "على كل حركة مقرونة بهدف) :إنما الأعمال بالنيات(، ولما كان الهدف خاصًّا بالإنسان فقد أطلق على أعماله اسم) العمل(، أما الحركات غير الهادفة كحركة الشمس والقمر والرياح، فقد سماها جريانًا.

5-5- القياس والتقويم:

القياس والتقويم هما البحث العلمي أو الموضوعي في نتائج العملية التربوية في ضوء الأهداف التربوية المتبناة؛ للوقوف على درجة حصول التغييرات في السلوك أو الأوضاع، ثم تقييم هذه التغييرات استنادًا إلى قِيَم ممثلة في الأهداف التي تحققت.

ولقد كان التقويم في التربية الحديثة قبل القرن العشرين لا يأخذ في اعتباره النتائج العملية للتربية؛ لأن منهاج الدراسة كان يسبغ صفة الكمال على المادة الدراسية ولا يتناولها بالتحليل، وإنما يقتصر على امتحان قدرة الطالب على استظهارها، وإذا لم يستطع الطلبة هذا الاستظهار فإن اللوم يُوَجَّه إليهم وحدهم، وتعزى أسباب الفشل إلى أشخاصهم وأساليب دراستهم.

وفي الوقت الحاضر أخذ مفهوم التقويم يشمل كلَّ مكونات النظرية التربوية، ابتداء من الأصول التربوية، ومرورًا بالفلسفة والأهداف التربوية والمؤسسات والمناهج والأساليب، حتى ينتهي التقويم بالتقويم نفسه، وصار معيار النجاح مقدار ما تحقق من المعادلات العملية للأهداف، وليس مقدار ما استظهره الطالب من مادة دراسية.

6- علاقة التربية بالفلسفة:

ترتبط التربية بالفلسفة ارتباطاً كبيراً، فالفكر التربوي هو فلسفة قبل أن يكون شيء آخر، وما دامت الفلسفة تدعي أنها الحكمة ومحبة الحكمة، وفهم الإنسان والطبيعة وموقفه من العالم المادي ومن الحياة، فهي تماماً ما تبحث عنه التربية.

فالفلسفة والتربية لهما صلة وثيقة، ويمكن القول أنهما مظهران لشيء واحد، فالفلسفة تبحث في الوجود، القيم، المعرفة، وما فلسفة التربية إلا تطبيق لنتائج الفكر الفلسفي.

والفلسفة هي من بين أسس التربية، فالفلسفة لا تعني المعارف في حد ذاتها، وإنما تعني الانتفاع بهذه المعارف والاهتداء بها.